

نشرة غير دورية تصدرها
جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة

رئيس التحرير :
د . محمد رفعت الإمام
مستشار التحرير للمواد الأرمنية :
بيـــرج ترزيــــــان
سكرتير التحرير :
على ثابت صبرى

العنوان : **٢٦ ش مراد بك ـ صلاح الدين**
مصر الجديدة ـ القاهرة
تليفون : ٢٦٩٠٩٥٢٦(٠٢)
البريد الإلكترونى :
arekcairo@yahoo.com
رقم الإيداع : ١٨٣٧٤ / ٢٠١٠

إعداد وطباعة : **ديزاين آرت**
ت : ٨١ ٧١ ٩٤٢ ٠١٢٧ ـ ١٩ ٠٨ ٢٤٣٣
da_emad@yahoo.com

المحتويات

السادة القراء الراغبون فى الحصول على هذا الإصدار مجاناً ، الرجاء موافاتنا بالبيانات الآتية :

الاســـــم : ....
المـهـنـة : ....
العـنـوان : ....
البريد الإلكترونى : ....
التـليـفون : ....

حديث فى أنقرة حول العدالة والإبادة

ترجمة : سحر توفيق

بقلم : خاتشيك مراديان

فى ١٩ يناير ٢٠١٣ ، ألقى خاتشيك مراديان رئيس تحرير جريدة The Armenian Weekly التى تصدر باللغة الإنجليزية فى مدينة بوسطن كلمة أثناء لقاء نظمه مفكرون وأكاديميون يساريون أتراك فى أنقرة بمناسبة الذكرى السادسة لاغتيال هرانت دينك . وخلال اللقاء ، تحدث مراديان عن العدالة من أجل الإبادة الأرمنية باللغة التركية . وفيما يلى النص الكامل لكلمته عن الترجمة الإنجليزية لها .

كيف وصلتنى اللغة التركية ؟

لم أتعلمها بهدف إضافة لغة أجنبية أخرى إلى سيرتى الذاتية .

جاءتنى اللغة التركية يوم ولدت ـ لم أطلب ذلك ، ولكنى لم أستطع أن أرفضها أيضاً .

جاءت إلىّ فى صوت جدتى .

بالنسبة لكم ، التركية هى اللغة الأم ، وبالنسبة لى ، هى لغة جدتى .

نجا أجدادى من الإبادة ، وانتهى بهم المقام فى لبنان ، وهم خاوون الوفاض عملياً . وأعادوا بناء حياتهم من العدم ، ووهبوا والدىّ الحياة .

وعندما ولدتُ ، أعطيانى شيئاً من الأشياء القليلة التى استطاعا فى الحقيقة إحضارها معهما من قيليقية : اللغة التركية .

بالنسبة لكم ، التركية هى لغة الحب الأبوى .

وبالنسبة لى ، هى عبء الموت ونزع الممتلكات .

لغتى التركية تحمل ذكريات الموت ونزع الممتلكات من أضنة ، وكيليس ، قونية ، وإرچلى ، وحسن بيلى . أى من القرى والمدن التى ينتمى إليها أجدادى .

واليوم ، لأول مرة ، أتحدث تلك اللغة وأنا جالس على منصة .

اليوم ، لأول مرة ، أعيد هدية الموت ونزع الممتلكات إلى الأراضى التى جاءت منها .

وأطلب بدلاً منها : لغة العدل .

منذ ست سنوات ، فى مثل هذا اليوم ، استيقظتُ فى بوسطن فى الصباح الباكر على مكالمة هاتفية من أمى فى لبنان .

وأخبرتنى بالأنباء المحطّمة .

فى تلك اللحظة ، كان الشئ الوحيد الذى استطعتُ فعله هو أن أجلس وأكتب هذه الرسالة :

عزيزى هرانت ..

أعتقد الآن أن المياه أخيراً قد وجدت مجرى تتدفق فيه ، وأنكَ وجدتَ السبيل العظيم خلف أولئك الذين فقدناهم منذ ٩٢ عاماً .

هرانت ، هناك معروف أطلبه منكَ .

قبِّل كريكور زوهراب نيابة عنى . قل له أننى كنتُ أقرأ قصصه القصيرة وأعيد قراءتها مرة تلو الأخرى ، منذ اكتشفتها .

وبلّغ أجمل تحية منى لدانييل ڤاروچان . وأخبره أنه كان نوراً أضاء شبابى بقصائده ، وأنه يُلهم روحى وسيظل يُلهمها باستمرار .

هرانت ، لا تنسَ أن تنشد أغنيات البقاء مع سيامانتو .

قل لهم إنهم قائمون هنا على أرفف كتبنا ، إنهم موجودون على مناضد غرف الدراسة ، وأن كلماتهم تتردد على شفاهنا وفى قلوبنا .

وقل لهم أننى أعتقد ـ وأنا متأكد أنكَ كذلك أيضاً ـ أنه فى يوم ما ، سوف يكونون على أرفف كتب ، ومناضد غرف الدراسة ، وشفاه وقلوب الأتراك أيضاً .

وذات يوم سوف تزدان إسطنبول بتماثيلهم ، وبتمثالكَ أيضاً .

ولا تنسَ أن تُردد صلاة مع جوميداس ، وقل له أنه ، ذات يوم ، سوف تُغنى النساء الأرمنيات مرة أخرى فى تلك القرى .

من فضلكَ إبحث عن أجدادى ، قل لهم إننا نحمل أسماءهم وحبهم إلى الأرض التى لم يُغادروها أبداً ، الأرض التى لم نرها أبداً .

هرانت ، ضع قبلة على الجباه المباركة لكل ضحية من ضحايا الجريمة الكبرى ، ١٩١٥ .

قل لهم إننا سوف نستمر فى السير على طريق أحلامهم . لأن أحلامهم هى أحلامنا .

قل لهم إننا سوف نجعل الصحراء تزدهر بعبق ذكراهم .

قل لهم أنه من طلعت* إلى ساماست** ، إننا ناجون وباقون .

قل لهم إننا جميعاً زوهراب ، وڤاروچان ، وسيامانتو ، وجوميداس ، وهرانت .

مع حبى

خاتشيج مراديان ..

* * *

كنتُ قد كتبتُ : « قل لهم إننا جميعاً زوهراب ، وڤاروچان ، وسيامانتو ، وجوميداس ، وهرانت » .

ومرت السنوات ، ولكن حتى الآن لم أستطع مصالحة نفسى مع عبارة « إننا جميعاً هرانت دينك ، إننا جميعاً أرمن » ، تلك الكلمات التى رددها الآلاف فى تركيا أثناء جنازة دينك ، وكررها مئات الكتاب فى الأشهر والسنوات التى تلت .

وعندما تحدثتُ فى تأبين دينك بعد أيام قليلة من اغتياله ، لم أكن أشير ببساطة إلى الشئ الواضح عندما قلتُ لا أحد يُمكن أن يكون هرانت دينك . فقد رأيتُ رجلاً واحداً فقط ـ راقداً ، اخترقته الرصاصات ، وجهه

---

* طلعت باشا الذى قام بدور بارز فى إبادة الأرمن عام ١٩١٥ .

** ساماست هو قاتل هرانت دينك .

لأسفل على الرصيف . كان وحيداً . فأين كان كل من يدّعون أنهم هرانت دينك حينئذ ؟

وبعد ذلك اليوم المشئوم ـ نتيجة الشعور بالذنب ، أو الغضب ، أو اليأس ، لا أعرف ـ أصبح كثيرون ممن عرفوا هرانت فى تركيا أكثر شجاعة فى الكلام . وكثيرون ممن لم يعرفوه يفعلون الآن ، وتأثرت حياتهم بعمق .

ولكن ، رغم تدفق العواطف والحبر ، رغم الغضب فى تركيا وخارجها ، ورغم التكرار المسعور لعبارة : « نحن جميعاً هرانت دينك ، نحن جميعاً أرمن » ، فإن هرانت ليس أقل وحدة اليوم مما كان منذ ست سنوات على ذلك الرصيف .

لأن العدل هو العلاج الحقيقى الوحيد لتلك الوحدة .

وأولئك الذين كانوا مسئولين عن الجريمة لم يُقبض عليهم بعد .

لا أحد يُمكن أن يكون هرانت دينك . حتى هرانت دينك أحياناً لم يكن هو نفسه ، لأن المرء لا يستطيع أن يكون نفسه بالكامل ـ كمثقف عام ، والأهم ، كأرمنى ـ ويهرب من الملاحقة والعقاب فى تركيا ، حيث الضغط الذى يُمارس لخفض نغمة الخطاب ، أن تُنتقد وأن تتفجع داخل حدود لا تخرج عنها ، أن تُصفق لأكثر الأفعال تفاهة فى الخلاف فى الرأى باعتباره المثال النموذجى للبطولة الطاغية ، التى لا يُشق لها غبار .

لا أحد ، إذن ، يُمكن أن يكون هرانت دينك ، وبالمناسبة ، لا أحد أيضاً أرمنى .

عندما تحدثتُ فى إسطنبول يوم ٢٤ أبريل ٢٠١٠ ، أمام جماعة من المثقفين والناشطين ، كانت الرسالة الوحيدة التى حاولتُ توصيلها هى استحالة المشاركة ، والشعور ، والفهم ـ وفى الصورة الأكبر للأشياء ، أن ذلك كله غير مهم .

لقد بُنى الاقتصاد القومى التركى إلى حد كبير على الانتزاع الممتزج بالعنف على ممتلكات الأرمن . والتباين فى القوة بين تركيا وأرمينية اليوم ناتج عن هذا الانتزاع . وعبء الانتزاع على الممتلكات هذا يجعل كلمات المشاركة ، والمشاعر ، والفهم ، ترن خاوية ، مهما كانت صادقة وأصيلة .

ولكن هناك سبيل إلى الأمام . التزام حقيقى مع الأرمن يبدأ من نقطة نزع الملكية والإذلال ـ على رمال دير الزور .

والتزام حقيقى يبدأ من نقطة تحول لغة نزع الملكية إلى لغة العدل .

دعونا لا نتحدث عن ماضٍ مشترك ، وكيف أننا جميعاً نأكل نفس الطعام .

فليس السبيل إلى السلام طريقة صُنع الضلمة ، وإنما هو العدل .

دعونا لا نسأل كل واحد أن يُصبح صديقاً للأرمن أو لهرانت .

فأصدقاء هرانت والأرمن كثيرون ، هنا فى هذه القاعة ، وفى هذا البلد ، وحول العالم .

ولكن مطالبة الآخرين بأن يفتحوا عيونهم ويعترفوا بمعاناة الأرمن لا يُمكن أن يكون كافياً .

فالضرورى هو العدل .

وهكذا اليوم ، أُعيد إليكم لغة الموت وانتزاع الممتلكات .

وبدلاً منها ، باسم أجدادى ، خاتشادور وملينه مراديان ، وأرداشيس وأغاڤنى غريبيان ، أطالب بلغة العدل .

يوسف حككيان وذاكرة مصر القديمة

بقلم: د . رامى عطا

ُيعد الأرمن من أفضل العناصر التى خدمت مصر ، وتفانوا فى تقديم هذه الخدمات . وثمة شهادات ودلائل وقرائن شتى على هذا من قبيل المهندس يوسف حككيان بن مجرديتش حككيان أحد المترجمين الأرمن الخصوصيين فى بلاط محمد على ، وُيمثل حككيان واحداً من أبرز الأرمن الذين أعدتهم الحكومة إعداداً جيداً للانخراط فى سلكها الإدارى .

تعلم يوسف حككيان (١٨٠٧ ـ ١٨٧٥) بأوربا ، شأنه فى ذلك شأن رفاعةالطهطاوى ، وكان محباً للآثار . أقبل على تعلم اللغات التى ُتساعد على اتصال مصر بأوربا . وإذا كان الطهطاوى المصرى المسلم استخدم موقعه كموصِّل بين الثقافة الأوربية وبلاده فى حفز مواطنيه على الاهتمام بمصر القديمة ، فقد كان حككيان على نقيضه تماماً ، فقد كان أرمنياً كاثوليكياً ، ولد بالأستانة ، ونأى به تعليمه فى بريطانيا بعيداً عن وطنه الثانى مصر . وعندما طرده عباس الأول (١٨٤٩ ـ ١٨٥٤) من وظيفته ، اشتغل بالتنقيب عن الآثار تحت رعاية بريطانية ، ومد يد العون للأوربيين من زوار مصر ، وكتب كثيراً عن مشكلة التوفيق بين ما جاء بالكتاب المقدس والإطار الزمنى للعصر الفرعونى وكانت مشكلة ملحة عند أهل الغرب ، وتغلب عنده الميل إلى الثقافة الأوربية على انتمائه الشرقى ، حتى أن أوراقه الخاصة مودعة بالمكتبة الوطنية البريطانية بلندن وليس القاهرة .

كان حككيان واحداً من بين مجموعة صغيرة من الأرمن الذين لعبوا دور الوساطة مع الغرب ، واحتلوا وظائف كبرى فى مصر فى القرن التاسع عشر . وكان الأرمن ـ الذين زاد عددهم عن الألفين عام ١٨٤٠ ـ ينقسمون إلى قسمين : أحدهما يتبع الكنيسة الجريجورية (الأرثوذكسية) ، والآخر يتبع الكنيسة الأرمنية الكاثوليكية . وقد جلب محمد على والد حككيان الأرمنى الكاثوليكى من الأستانة ليعمل لديه مترجماً فى مطلع عهده ، ولعب أرمنى آخر جاء إلى مصر من أزمير هو بوغوص يوسفيان دوراً مهماً فى خدمة محمد على فتولى نظارة « ديوان التجارة والأمور الإفرنجية » وخلفه أرمنيان آخران فى منصبه فى الأربعينيات من القرن التاسع عشر . وقد زكّى هؤلاء الأرمن عند محمد على ، افتقارهم إلى الجذور الاجتماعية المصرية ، وإتقانهم التركية واللغات

دكتوراة فى الصحافة
إعلام القاهرة

الأوربية ، واختار بوغوص يوسفيان أربعة من الطلاب الأرمن ليُوفدوا إلى باريس ضمن البعثة التعليمية الأولى التى انضم إليها الطهطاوى عام ١٨٢٦ ، وربما كان نوبار باشا ـ أول رئيس وزراء لمصر فيما بعد ـ عضواً بالبعثة التعليمية التى ذهبت إلى فرنسا عام ١٨٤٤ .

ظل يوسف حككيان بالأستانة بعدما رحل والده إلى مصر للعمل فى خدمة محمد على ، ولم يُغادرها إلا بعد موافقة محمد على على تحمل نفقات تعليمه بإنجلترا. وعندما وصل إلى لندن عام ١٨١٧ كان فى العاشرة من عمره حيث تلقى نبأ وفاة والده ، وأشرف صامويل بريجز ـ التاجر ونائب القنصل السابق بالإسكندرية ـ على تعليمه العام الذى استغرق سبع سنوات ، تعلّم خلالها الإنجليزية واليونانية واللاتينية ، وكذا تعليمه الهندسى الذى استغرق خمس سنوات . وحتى يقف يوسف حككيان على جوهر التقدم الصناعى والتجارة الحرة ، قام بجولات استطلاعية للقنوات والجسور ومصانع الغزل والنسيج بمانشستر وجلاسجو ، وشهد مولد عصر السكك الحديدية . وضمَّن مذكراته اقتراحات لتحديث مصر التى لم يكن قد رآها بعد : « أظن أن بناء بواخر نيلية ، وعربات لنقل الركاب على الطريق بين القاهرة والإسكندرية مشروع جيد ، ولابد من إنشاء خطوط حديدية تُيسر سبيل تحريك القوات العسكرية ونقل البضائع . . . وخطوط البرق وما يُشابهها من وسائل الاتصال التى تُستخدم فيما بين لندن وبورتسموث يجب تركيبها بين القاهرة والإسكندرية . كما يجب استخدام الأنابيب لمد المدن بالمياه ، ولابد من العناية بالسجون . . . » .

وعندما أمره محمد على بالعودة إلى مصر عام ١٨٣٠ ، كان يوسف حككيان قد تفرنج تماماً حتى أنه نسى اللغة التركية ، وأصبح يتحدث من خلال مترجم. وقد أدهشه ما لقيه من استهجان فى مصر لاستمراره فى ارتداء القفازات والجوارب . ولم يستطع حككيان أن يُخفى تحيزه لثقافته الإنجليزية ، فيقول : « كان الزاد الذى حملته معى إلى مصر ، رفاهية اليونان ، واضطراب الترك ، وصوت المقارع للسادة أكلة الضفادع » .

كان حككيان سريع التعلُّم ، وما لبث أن اكتسب قدراً مما يتسم به رجال البلاط من مرونة ، كان محمد على يُسرع الخُطا فى طريق التصنيع ، مما أعطى للمهندسين أولوية عنده . وشُغل حككيان بالتفتيش على المصانع ، والبحث فى جدوى استغلال المناجم ، وتصميم المبانى وإدارة مدرسة المهندسخانة ، وأضاف التركية والعربية والفارسية إلى اللغات التى يعرفها (الإنجليزية ـ الفرنسية ـ اليونانية ـ اللاتينية) ، ثم بدأ يتعلم الإيطالية والألمانية والأرمنية . وكان إتقانه للإنجليزية يُعطيه وزناً خاصاً فى حاشية محمد على التى تتحدث التركية ، لأن بوغوص بك يوسفيان (ناظر ديوان التجارة والأمور الإفرنجية) ومساعده أرتين تشراكيان كانا يعرفان الفرنسية والتركية ويجهلان الإنجليزية ، فقام حككيان بترجمة المراسلات الإنجليزية إلى الفرنسية ليتولى بوغوص وأرتين ترجمتها إلى التركية وعرضها على محمد على .

ولكن دراسته للهندسة لم تُعلمه احترام الآثار وتقدير قيمتها ، فقبل قدومه إلى مصر كتب فى يومياته يقول :

« إذا كانت الأهرام الواقعة بجوار القاهرة تتكون من كُتل من الجرانيت والأحجار الأخرى ، فمن المفيد اقتلاع تلك الأحجار ، واستخدامها فى بناء الجسور وغيرها من المبانى ذات النفع العام ، ويُكتفى بالإبقاء على هرم واحد أو هرمين فى موضعهما إلى الأبد . . . ولما كانت جوانب الهرم منحدرة ، فإن اقتلاع الأحجار الضخمة من القمة إلى القاعدة على التوالى يُصبح ممكناً ، وقد يُمد خط حديدى تُدفع عليه حاويات الحجارة

من عند قاعدة الهرم إلى النيل . . . ويجب أن نأخذ كل ملٍ يُقال عن عدم اقتلاع أحجار الهرم بنوع من التراضى ، ويُمكن الإبقاء على التماثيل والأعمدة والمعابد واللوحات الرخامية . . . » .

وفى عام ١٨٣٦ ، عندما اعتزم محمد على اقتلاع أحجار الهرم لاستخدامها فى بناء القناطر الخيرية ، فزع مينو (القنصل الفرنسى) ، وقدّم إليه التماساً قال فيه :

« لقد حققتَ شهرة عظيمة لنفسكَ بفضل ما قمتَ به من جلائل الأعمال . . . ولما كان الرأى العام قوياً فى البلاد المتحضرة ، فسوف يثور ضد تخريب الآثار . فالأوربيون ينظرون إلى الأهرام باعتبارها أعظم آثار باقية للجنس البشرى القديم ، وهى تُعد فى التراث القديم احدى عجائب الدنيا السبع . . . وأمر هذه الآثار يعنى جميع شعوب العالم . . . وهى فوق ذلك كله تعنى للفرنسيين الكثير منذ قال بونابرت كلمته الخالدة فى المعركة التى حملت اسم الأهرام : تذكروا أن أربعين قرناً (من التاريخ) تنظر إليكم من فوق قمم الأهرام . . . ويجب على حكام البلاد أن يحفظوها لتُنقل إلى الأجيال القادمة سليمة وخالدة ، بعد أن تنتهى حياتهم القصيرة على الأرض » .

وبعدما وصل حككيان إلى مصر ، تغيرت نظرته إلى الآثار تماماً تأثراً بالأوربيين ، وأصبح من أقوى الدعاة للمحافظة على الآثار . وكان من بين مؤسسى «الجمعية المصرية» . وخلال تنقله فى ربوع البلاد فى مهام تتصل بالعمل ، قام برسم المعابد واللوحات ونسخ النقوش الهيروغليفية ، ولازالت أوراقه الخاصة مصدراً مهماً للمتخصصين فى المصريات . وقدم ـ فى يومياته ـ وصفاً رومانسياً لكوم أمبو :

« عندما رسا قاربنا أمام هذه الحوائط الشامخة ، لم أملك سوى إطلاق العنان لمشاعرى أمام ذلك الصرح الذى يُطل علينا باعتبارنا غرباء لا نستحق الاستحواذ على الآثار ، فلا يجب أن نُهمل الصروح التى أقامها الأقدمون . . . إن كل مل يهمنا فى خرائب الآثار هو قدرتها على إنتاج الملح الصخرى » .

وفى إدفو ، راح حككيان يُبدى انزعاجه من « التراب والقذارة المتراكمة بفعل سكانها الحاليين ؛ فالمعبد يئن تحت تلك الأكواخ البائسة التى أقاموها فوقه ، ولو كان ذلك فى بلد أوربى لنفضت عنه الأتربة وقامت بترميمه . . . » .

ومع مضى أربعينيات القرن التاسع عشر ، تكشف يوميات حككيان عن تصاعد اغترابه التام عن مصر ، وتبنيه الفكرة الشائعة بين الأوربيين عن تعصب المسلمين . ودارت فى ذهنه أفكار النموذج الأوربى لحرية العبادة ، وإلغاء الرق ، والآثار : « ألا يُمكن ـ لوجه الله ـ أن يُنقل كل معبد إلى إنجلترا أو فرنسا بواسطة ساحر ، مع اتخاذ إجراءات صارمة للحفاظ على الآثار فى مصر ، ولابد أن تتدخل القوى الثلاث الكبرى لفرض حرية العبادة وتصفية الرق ، وحماية الآثار » .

ومع تزايد شعور حككيان بفقدان الأمان ، ازداد اغترابه عن المجتمع المصرى . فقد حرص محمد على على تزكية الخصومات بين الأرمن العاملين معه ليقينه أن مراسلات الأرمنى لا يستطيع قراءتها إلا واحد من قومه . وكان زواج حككيان من شقيقة أرتين بك تشراكيان (بانومانيكاڤا) دعماً لمركزه فى بداية الأمر ، ولكن مع تولّى عباس الأول السلطة انتابت حككيان الهواجس من نوبار (رئيس الوزراء فيما بعد) قريب بوغوص يوسفيان ، لدسه ضده عند الباشا . وقد نصح أرتين صهره حككيان بالتزام الحذر . وأشار حككيان فى

يومياته إلى أنه كان باستطاعة أرتين وأخيه خسروف الارتكان إلى الحماية الفرنسية والعثمانية . ولكن أرتين فر إلى الأستانة عام ١٨٥٠ عندما اتُهم بالفساد ، تاركاً وراءه حككيان يُعانى من الفزع وفقدان الحماية . وقد ذكر فى يومياته أن الرجال والنساء كانوا يختفون ببساطة تامة فى عهد عباس .

ولجأ حككيان إلى القنصل العام موراى ، وأنتونى هاريس - زميله فى الجمعية المصرية - كما لجأ إلى بريجز الذى أشرف على تعليمه بإنجلترا ، طالباً الحماية البريطانية . ووضع ترتيب تم بموجبه تعاقد ليونارد هورنر - ممثل الجمعية الچيولوچية الملكية - مع حككيان ليقوم بالتنقيب عن الآثار فى عين شمس لحساب الجمعية ، وبذلك اكتسب الحماية البريطانية ، وكان للقنصل موراى دلال على عباس الذى فضّل المشروع البريطانى لإقامة سكك حديد الإسكندرية - القاهرة ، على المشروع الفرنسى الخاص بشق قناة السويس ، ولذلك وصل عباس إلى درجة تقديم دعم مادى لحفائر حككيان ، فزوّده بمهندس وبالعمال المسخَّرين للعمل مجاناً ، وبالأدوات اللازمة للحفر . وحرص حككيان ألا يُثير شك حارسه ، فقد ذكر أن موظف القصر « لم يُخف عنى أن هناك انطباعاً عاماً أن الهدف من حفائر عين شمس استخراج كنوز الذهب ، وسألنى عما أنوى فعله بالكنوز التى قد أعثر عليها فأجيب بأننى سوف أرسلها لخزانة الوالى » .

بدأ حككيان حفائر عين شمس من يونية ١٨٥١ ، كما قام فيما بعد بحفائر فى منف - لحساب هورنر - فيما بين أعوام ١٨٥٢ _ ١٨٥٤ . وقد ساعدته معرفته بالچيولوچيا إلى القيام بأول حفائر استُخدم فيها علم الطبقات فى مصر ، وكان ذلك سابقاً لماريت الذى احتفظ بمجرد قوائم بما تم العثور عليه . وكان هورنر يعتقد أن التراكم السنوى لطمى النيل فوق الآثار المصرية قد يحسم الخلاف بين دارسى الكتاب المقدس وأولئك الذين ينتقدون بحدة التحقيب الزمنى لما جاء بالكتاب المقدس . ومن ثم رأى أن مسلة عين شمس الخاصة بسنوسرت الأول (الأسرة الثانية عشر) وتماثيل رمسيس الثانى الضخمة فى منف (الأسرة التاسعة عشر) أماكن مناسبة لبداية العمل فى هذا الاتجاه . ونشر هورنر نتيجة الحفائر التى أثارت المتخصصين فى الكتاب المقدس الذين حددوا بدء الخليقة بحوالى عام ٤٠٠٤ قبل الميلاد ، وحدد زمان ما قبل التاريخ بما كشفت عنه حفائر حككيان فى منف بالعام ١١٥٠٠ قبل الميلاد .

واعتزل حككيان التنقيب عن الآثار عام ١٨٥٤ ، واهتم بتعريف سيل الأوربيين الذى انهمر على مصر لزيارتها ، بتراث هذه البلاد . فكتب الكثير عن الحساب الزمنى لمدة فيضان النيل ، وعن الكتاب المقدس ، ومانيتو ، والنظريات الخيالية حول الحكمة الخفية فى الآثار . وقد تمت طباعة عمله حول هذا الموضوع بشكل خاص فى لندن عام ١٨٦٣ بعنوان « رسالة فى تقويم الآثار القديمة » .

وقد تأثرت مكانة حككيان كثيراً لأنه لم يُدرج ضمن علماء الآثار الوطنيين ، فقد بدأ عثمانياً فى وقت كانت فيه مصر تتباعد عن الأستانة ، وأدت تربيته الإنجليزية إلى اغترابه عن المجتمع المصرى ، وعن اهتمام المؤرخين الوطنيين . لقد كان يتمتع بالحماية البريطانية دون أن يحمل الجنسية ، وكان كاثوليكياً بعيداً عن الكنيسة الأرمنية الجريجورية . وفى عالم المصريات تُعد رسومه الأثرية وحفائره التى وظفت علم الطبقات ذات قيمة ، ولكن تحوله عن المجال جعل وجوده باهتاً فى التخصص الذى كان فى مرحلة التكوين . ولاتزال أوراقه الخاصة فى المكتبة البريطانية فى حاجة إلى دراسة استكشافية .

وفى الوقت الذى بدأ فيه حككيان التنقيب عن الآثار

فى منتصف القرن التاسع عشر ، كان الفرنسيون والألمان والإنجليز قد قاموا بعمل مجسات أثرية ، وعثروا على مجموعات كبيرة من الآثار المصرية . وكان محمد على يرى فى الآثار مجرد أدوات تُستخدم فى المساومات الدبلوماسية ، غير أن الطهطاوى ساعده على اتخاذ الخطوات المترددة الأولى لحماية التراث الفرعونى . وتهيأ المسرح لظهور ماربيت الذى سيُعيد تكوين مصلحة الآثار ويُقيم المتحف على أسس متينة ، وليقوم الطهطاوى بحملته التى دعت المصريين إلى تبنى التراث الفرعونى . وفيما بين أعوام ١٨٥٠ ـ ١٨٨٢ نشرت تلك التطورات أشرعتها فى مواجهة سُحب العاصفة السوداء للإمبريالية الغربية التى تجمعت فى الأفق . وفى عام ١٨٤٩ كتب حككيان الذى كان متأثراً بالإجماع الأوربى ، تحذيراً جاء فيه :

« إن من المقدر لمصر ألا تبقى هكذا فى ظلال الجهل وترزح تحت ثقل البربرية ، تلك البلاد التى نقلت إلى أوربا فى العصور القديمة شعلة الحضارة المقدسة . وإن عاجلاً أو آجلاً سنضطر إلى فتح الأبواب أمام ضغوط الحضارة الأوربية والدول ، وإلا فسوف يقومون بفتح تلك الأبواب عنوة » .

تجدر الإشارة إلى أن حككيان قام بدور محورى فى التعليم المصرى زمن محمد على . فقد أُعيد افتتاح مدرسة الهندسة ببولاق عام ١٨٣٤ وضمت إليها فى العام التالى مدرستى المهندسين بالقناطر الخيرية والمعادن بمصر القديمة . وقد تولى حككيان إدارتها من نوفمبر ١٨٣٤ وحتى سبتمبر ١٨٣٨ . وتُعد هذه المدرسة من أهم المدارس آنذاك لأنها أخرجت عدداً كبيراً من المهندسين الذين قدّموا خدمات جليلة لمصر . وفى عام ١٨٣٦ ، اشترك حككيان ضمن اللجنة المنتدبة لتنظيم مدرسة المدفعية بطرة . وتولى نظارة مدرسة الفنون والصنائع (العمليات) التى تأسست عام ١٨٣٩ ، وشهدت عصرها الذهبى إبان نظارته .

وكان حككيان عضواً فاعلاً فى جميع اللجان والمجالس التى أُنيط بها تنظيم التعليم وتطويره بدءاً من «لجنة تنظيم المدارس» (١٨٣٦) مروراً بـ «مجلس شورى المدارس» و «ديوان المدارس» (١٨٣٧) وانتهاء بـ «لجنة تنظيم التعليم» (١٨٤١) . كما أسهم فى ترجمة الكتب من اللغات الأوربية إلى التركية والعربية . وكان له رؤى خاصة عن التعليم ؛ إذ أنه من وسائل ارتقاء العقل وأنظمة الحكم ، ويُفضّل إقامة مؤسسات تعليمية ذات مناهج موحدة تنخرط فيها جميع طبقات الشعب دون تفرقة ، وتُفرض على الجميع ضرائب تكون بمثابة ميزانية لها ، ويتطلع إلى إقامة نظام تعليمى عالمي موّحد كوسيلة لتوحيد المبادئ الأخلاقية فى العالم كله . بيد أن ملاحظات حككيان كانت إشارته إلى محمد على بأهمية تعليم البنات فى مصر بداية من بنات أعلى الطبقات ونزولاً حتى بنات العامة .

دراســـــــة

أنهت الباحثة آلاء فهيم كتابة رسالتها للماجستير عن «الأرمن فى إسطنبول ١٨٣٩ ـ ١٨٧٨» . وتجدر الإشارة إلى أن الباحثة مسجلة بكلية الآداب جامعة الإسكندرية . وتعكف الآن لجنة الإشراف على قراءة الرسالة ومراجعتها وتدقيقها وتنقيحها استعداداً لمناقشتها عن قريب .

أدب

ضريبـــة اللباقـــة
كاميك أغا

تأليف : هاجوب بارونيان

ترجمة : د . نورا أريسيان

صدر عن دارأطلس بدمشق الترجمة العربية لكتاب «ضريبة اللباقة» ؛ تأليف هاجوب بارونيان (١٨٤٣ ـ ١٨٩١) وترجمة الباحثة الأرمنية السورية د . نورا أريسيان . ويُعد المؤلف من رواد الأدب والمسرح الساخر الأرمنى . ومن أبرز أعماله : المتسولون الشرفاء ، نزهة فى أحياء الأستانة ، دفتر الأبله ، طبيب الأسنان الشرقى، خادم ومعلمان ، المتملق ، الأخ بغداسار . وقد كتب «ضريبة اللباقة» فى عام ١٨٨٦ بالأستانة ، وهى عبارة عن قصص مسرحية ساخرة ، شخصياتها ضحايا الغش ، وهم محكومون بالقواعد الزائفة للأدب واللباقة . ويُسعد «أريك» أن تُقدم على صفحاتها بعضاً من إبداعيات بارونيان الساخرة .

لنأكل الغذاء معاً هذه الليلة ، يا كاميك أغا .

ـ أشكركَ ، ماركوس أغا ، لكن لا استطيع الحضور لأننى مدعو إلى منزل آخر .

ـ أتوسل إليك .

ـ لو سمحت .

ـ لا تكسر كلامى .

ـ لا تفعل ذلك .

ـ لا تقل لا .

ـ لا تغضبنى .

ـ وماذا فى الأمر ؟ هيا نمضى الوقت معاً .

ـ حسناً ولكن . . .

ـ ماذا يعنى ولكن ؟ لنذهب .

ـ أنا لا أرفض لأنكَ تغصبنى ، لنذهب .

ـ فلتحىَ كاميك أغا ، أشكرك .

جرت هذه المحادثة فى شارع كبير أمام المقهى .

وما أن قبل الدعوة حتى مسك ماركوس أغا بيد صديقه ودخل المقهى .

ـ هل تشرب النبيذ ؟

ـ لا .

ـ إذاً تشرب الروم ؟

ـ لا .

ـ هذا يعنى أنكَ تشرب الكونياك .

ـ لا .

ـ ماذا تشرب إذاً ؟

ـ لا شئ ، ألا تعلم إننى لا أتعاطى الكحول منذ عدة سنوات .

ـ ألا تتعاطى الكحول ؟

ـ لا .

ـ دعنى أقبل قدميكَ .

ـ لا .

ـ هل تقول الصدق ؟

ـ ولماذا أكذب ؟

ـ تحب الله .

ـ لا أشرب .

ـ هل تمزح معى ؟

ـ وما داعى المزاح ؟

ـ ألا تشرب الكحول ؟

ـ لا .

ـ النبيذ ؟

ـ لا .

ـ الروم .

ـ لا .

ـ كونياك ؟

ـ لا .

فيصرخ أحد الزبائن وهو يملأ الكأس :

ـ ولماذا تعيش إذاً ؟

فيجيب ماركوس أغا :

ـ إنه يشرب ، يشرب ، إنه يُمازحك .

ـ لا أشرب ماركوس أغا .

ـ عيب يا أخى ، وهل يصح ألا يشرب المرء ، وهل سمعت شيئاً مماثلاً ، ستجعل الحضور يهزأون بنا .

ـ ليست من عادتى يا أخى ، لماذا تغصبنى على ذلك؟

يقول أحدهم :

ـ أنتَ امرأة أم ماذا يا زلمة ؟ ألا يشرب العرق ؟

ويردف آخر :

ـ وهل يعرف طعم فمه ؟

ويقول ثالث :

ـ إنه رجل بسيط .

ويصرح آخر :

ـ إنه ناسك .

يُتمتم ثمل ضاحكاً :

ـ ها ها ها ، قال لا يشرب العرق ، أيها الغبى .

ـ فيقول ماركوس أغا :

ـ أرجوك كاميك أغا لنُنهِ هذه اللعبة .

ـ ماذا أفعل ؟

ـ اشرب قدحاً واحداً فقط . احضروا لنا زجاجة .

ـ سأشرب قدحاً من أجل خاطرك .

ـ أشكركَ علينا التأقلم ، هنا يهزأون بمن لا يشربون.

ـ حسناً .

ـ تفضل .

ـ بصحتك .

ـ صحة .

يضطر كاميك أغا لشرب عدة أقداح أخرى لكى لا يُسبب المشاكل بين الثمالى .

تقترب الساعة من الثانية عشرة ، وكاميك أغا جائع فهو معتاد أن يتعشى قبل هذه الساعة . فيقول :

ـ لنذهب ماركوس أغا لو سمحت .

ـ لايزال الوقت مبكراً .

ـ لقد اقتربت الساعة من الثانية عشرة .

ـ ألا تعرف المثل الذى يقول إن الضيف هو فريسة صاحب البيت .

ـ أعرف ولكن . . .

ـ لم أنته بعد من الزجاجة .

ـ حسن .

يستمر ماركوس أغا فى الشرب وكاميك أغا فى الجوع .

ـ إلى متى سنبقى هنا يا ماركوس أغا ؟

ـ ولماذا تستعجل يا صديقى ؟ ماذا ستفعل إن عدت إلى البيت ؟ وهل يأكلون فى هذه الساعة ؟ الحيوانات تأكل فى هذه الساعة . . ماذا هل أنت جائع ؟

ـ لا لا ، أبداً .

ـ إن كنتَ جائعاً فلنذهب .

ـ لا ، وهل يأكلون فى هذه الساعة ؟

ـ قل الصدق ، أرجوكَ ، أريدكَ أن تكون سعيداً وتتسلى وإلا ماذا . . . أريد أن يكون ضيفى سعيداً ، لنذهب إن كنت جائعاً .

ـ لا لا ، أبداً .

ـ أكرر إن كنتَ جائعاً لنذهب .

ـ لا وهل يأكلون فى وقت كهذا ؟

ـ أكرر أرجوكَ قل الصدق أريدكَ أن تكون سعيداً وتتسلى وإلا ماذا . . أريد أن يكون ضيفى سعيداً لنذهب إن كنتَ جائعاً .

ـ لستُ جائعاً .

ـ تكلم إذاً ، اروِ أى شئ ، لماذا تقف كالصنم ؟ بصحتك .

ـ صحة .

ـ سأعطيكَ قدحاً .

ـ لا رأسى يدوخ .

ـ تكلم ، بصحتك .

ـ صحة .

ـ ماذا فعلتَ بعملك ؟

ـ أى عمل ؟

ـ أياً كان ، عمل نتحدث عنه ونمضى الوقت ، أليس كذلك !

ـ إنه كذلك .

ـ ألن نتكلم يا أخى ، كيف تمضى الوقت فى الليل ، وماذا تفعل فى النهار وبماذا تلتهى فى الصباح ؟

ـ (لنفسه) سوف يغمى علىّ من الجوع .

ـ كيف أصبح ذلك العمل ؟

ـ عمل ميلكون ؟

ـ إيه عمل ميلكون . . . (لنفسه) ياليتنى أعلم أنا .

ـ ميلكون مذنب فى ذلك العمل . . . (لنفسه) ليتنى أذهب بأقرب وقت وأجلس على الطاولة .

ـ قل حقاً . . أيها الفهلوى ، لم أنتظر من ميلكون ذلك . . . (لنفسه) ليتنى أعرفه .

ـ إنه ولد شرير .

ـ احكِ لى .

ـ القصة طويلة . . . (لنفسه) أنا جائع كالذئب .

ـ فلتكن طويلة يا زلمة . . . (لنفسه) فلأخاطبه قليلاً كى يتحدث ، إنه ينزعج المسكين .

ـ لا أستطيع روايتها الآن . . (لنفسه) وبطنى فارغة .

ـ إذاً ، بصحتك .

ـ صحة ، الساعة الواحدة .

ـ حسناً لنذهب لأنهى الحساب .

ويقوم ماركوس أغا بإنهاء الحساب ، ويرمى كاميك أغا نفسه من المقهى وينتظر فى الشارع ماركوس أغا الذى يشرب آخر الكؤوس .

ـ يا ماركوس أغا ، تأخرنا .

ـ ها أنا آت .

ينتظر كاميك أغا ربع ساعة ثم ينفد صبره ويرغب فى الذهاب ولكن اللباقة لا تسمح . ولذلك يُنادى من جديد .

ـ ماركوس أغا ماركوس أغا ، لنذهب .

ـ الآن .

بالنسبة للشمالى (الآن) تدوم ربع ساعة على الأقل .

ـ ماركوس أغا طوِّلتها .

ـ أتيت .

بالنسبة للشمالى (أتيت) تعنى سوف أتى .

ـ ماركوس أغا .

ـ أرجوك . . تعالى إلى الداخل ونذهب مع بعض .

ـ لن آتى .

ـ تعال .

ـ لا

ـ سوف أغضب .

ـ لكننا سنذهب .

ـ نعم .

ـ ها أنا أتيت .

ـ اعتقد إننى جعلتكَ تنتظر .

ـ ما فى مشكلة .

ـ لا تعلم كم سعدتُ برؤيتكَ ، أنا ممتن لكَ بهذه الأمسية ، هل تشرب واحدة على الواقف .

ـ لا لنذهب .

ـ حسناً لنذهب . بصحتك .

ـ صحة ، لنذهب .

ـ نعم ، لنذهب .

وينطلق الصديقان إلى الشارع ويصلان إلى البيت بعد المرور ببعض الشوارع .

قدمت زوجة ماركوس أغا الضيف إلى أعلى وهى باسمة وثرثارة قليلاً ـ أرجو ألا ينجرح قلبها ـ وقالت :

ـ آه كاميك أغا ، تفضل .

ـ لقد أتيتُ بكاميك أغا ضيفاً يا زوجتى .

ـ حسناً فعلت . آه كاميك أغا .

ومدت بنات ماركوس أغا أيديهن ليُسلمن عليه ويُرحبن به :

ـ أهلاً بك .

يبحث كاميك أغا عن الطاولة بعيونه .

ـ آه كاميك أغا ، إيه كيف حالك ؟

ـ الحمد لله سيدتى ، كيف حالك أنت ؟

ـ رأيتكَ فأصبحت أفضل ، آه كاميك أغا ، لا أصدق أنكَ تزورنا .

يأمر ماركوس أغا :

ـ حضروا الصينية .

ـ آه كاميك أغا ، لم أكن أفكر بأنكَ ستحل ضيفاً علينا الليلة . أى ريح أتت بكَ إلينا ، آه كاميك أغا ، إيه ، كيف حالكَ ، ماذا تفعل ؟ لا أصدق أنكَ هنا ، آه كاميك أغا . . إيه تكلم ، كيف كنتَ تقضى أيامكَ بعد آخر مرة رأيتكَ فيها . خيراً فعلتَ يا ماركوس أغا بأنكَ أحضرت كاميك أغا معكَ ، آه كاميك أغا . أعطوا العرق لكاميك أغا ، الكثير . . من كان يُصدق أنكَ ستزورنا الليلة ، أحسنت يا ماركوس أغا . . أعطوه العرق يا بنات .

ـ لا أشرب العرق .

ـ اشرب واحدة .

ـ لا يا ماركوس أغا .

ـ آه كاميك أغا ، إيه كيف حالكَ ، كيف حال الأولاد والعائلة ؟

ـ حسن .

ـ فليكونوا ، آه كاميك أغا .

ويقول ماركوس أغا :

ـ يا كاميك أغا أنتَ ضيفنا الحميم ، لا تُفكر فينا ، إن كنتَ جائعاً قل ذلك ، وسنأكل ، لا فرق بالنسبة لنا .

ـ انتظر يا عينى ، لنر وجهه فى البداية وليرتاح قليلاً ومن ثم نأكل ، سوف نجد شيئاً من خير الله على الأكيد ، لن نبقى جياعاً ، ماذا نفعل ؟ ألن يروق لكاميك أغا غذاؤنا ، فالضيف يأكل ما يجده وليس ما يرغبه . . ها ها ها ، أليس كذلك ، قل الحقيقة كاميك أغا ، أنتَ رجل تقول الحقيقة ، ها ها ها . . آه كاميك أغا . إن كاميك أغا ليس بغريب ولن يتحدث بسوء عن أكلنا أمام الغير ، إنه مقرّب منا وهل سنعرف بعضنا بعضاً اليوم ؟ دعنى أقبل قدميكَ أليس كذلك كاميك أغا ؟ . . لا أصدق كنتَ ستأتى إلينا هذه الليلة ، أهلاً وسهلاً بك ألف مرة ، تفضل كل يوم ، بابنا مفتوح . إيه ، كيف حالك ؟ شو فى ما فى ؟ كيف حال جيرانكَ ؟ كيف حال (بيروس) خانم ؟ وهل خطبت (ماكروهى) خانم ؟ وهل وجد طوروس أغا عملاً ؟ وهل ذُبحت الدجاجات ؟ لا أدرى عن من أسأل ؟ عندما رأيتكَ كأنى وجدتُ كنزاً، آه كاميك أغا ، لا أصدق أنكَ أتيتَ الليلة ، لماذا لا تشرب العرق كاميك أغا ؟ لا تشرب ، أنا لا أغصب عليك ، أفعل ما يحلو لك ، أجلس مرتاحاً ، اتكئ على الوسادة ، إخلع ملابسك إن شئت ، فليحضروا ثوباً أو شحاطة . . هيك ها . . آه كاميك أغا ، أحسنت ، فلتحى .

ـ أنت لا تدعينى يا زوجتى كى أتكلم .

ـ الرحمة يا الله ، ومن مسكَ بفمك ؟ آه كاميك أغا ، لأنى لم أره منذ زمن طويل لذلك لا أدرى كيف أعبر عن سرورى ، إن كنتَ جائعاً فلنحضر الطاولة .

ـ لا بأس بذلك .

وتنفس الصعداء كاميك أغا .

ـ يا بنات ، ضعوا المقلاة على النار واقلوا السمك .

فقال كاميك أغا :

ـ أو . . . أو .

ـ آه كاميك أغا ، يُمكننا أن نشرب بعض الأقداح من العرق إلى أن يجهز الأكل كى تفتح شهيتكَ .

ـ أشكرك ، فليشرب ماركوس أغا .

ـ ستجهز الشرحات الآن ، لن أنسى أبداً هذه الليلة آه كاميك أغا .

ويرن جرس الطاولة .

يقفز كاميك أغا وينزل إلى غرفة الطعام . لا ننسى

هنا ذكر أن كاميك أغا كان قد فقد ثلاثة أرباع أسنانه .

يقول ماركوس أغا :

- خذ قطعة اللحمة هذه ، كاميك أغا .

يأخذ كاميك أغا اللحمة ويتسلح بالسكينة والشوكة ويعمل على قضمها . السكينة لا تقطع وأسنانه التى فقد غالبيتها لا تستطيع قطعها . يتأزم غضب كاميك أغا بعد الجوع ولكن اللباقة تستوجب أن يبتلع قطع اللحمة الكبيرة ويُشبع بطنه بالخبز الحاف . وتسأل السيدة :

- ألا تروق لك الشرحات يا عزيزى كاميك أغا ؟

- تروق لى جداً ، ها آنا أكل ، أكلتها ، أشكرك ، سوف آكل لا تقلقى .

- تفضل النبيذ .

- سأشرب شكراً .

كان النبيذ قد حمّض ، لكن اللباقة لا تدع الضيف أن يُبرز حقائق كهذه لصاحب البيت . كاميك أغا لا يُريد الشرب لكن السيدة ترغمه .

- ستشرب هذا الكأس من أجل خاطرى .

فيضطر كاميك أغا للشرب .

- ارفع كأسى وأشرب نخب كاميك أغا .

يضطر كاميك أغا لشرب كأس ثانية .

يبدو أن المرء لا يرى نقائصه ولا نقائص طاولته .

يشرب كاميك أغا الخل وبطنه فارغ ، إلى أن يأتى السمك إلى الطاولة . يتم تبديل الأشواك والسكاكين والصحون . لم يأكل كاميك أغا السمك بالشوكة والسكينة فى حياته ، إنه يستعمل أصابعه بدلاً منها . لكن اليوم اللباقة تُجبره بإتباع عادات صاحب البيت ، ومتى سيتعلم ومتى سيأكل . فيقول ماركوس أغا :

- أنت لا تأكل يا كاميك أغا ، يبدو أن أكلنا لا يروق لك .

- استغفر الله ، ها أنا آكل .

- السمك لا بأس به .

- جيد .

- آه كاميك أغا ، سيصعب أكلها قليلاً ، فالحسك كثير بعض الشئ .

- هذا لا شئ بالنسبة لى .

- لا تخجل أرجوك .

- لا تقلق .

- ألن تشربوا نخبى ؟

- وكيف لا يشرب ، لقد أتى إلينا ليتعشى مرة واحدة خلال الأربعين سنة . . آه كاميك أغا ، حقاً أنا مرتاح من مجيئك .

ويبتلع كاميك أغا الخل للمرة الثالثة .

يُحضرون نوع الأكل الثالث وهو لحم بالسفرجل . وكاميك أغا لا يطيق هذه الأكلة بتاتاً ، لكن يُظهر نفسه وكأنه يأكل فيشبع بالخبز والجبن .

يحضرون القهوة بعد الأكل ، ويبدأ ماركوس أغا وبمساعدة زوجته ينفخ رأس * ضيفه بالحديث لمدة أربع ساعات إلى أن نعس وهو جالس .

يدلون كاميك أغا على غرفة لكى ينام ، وما إن يدخل السرير حتى يُهاجمه البق ، فيضطر أن يُشعل السراج ويرى أن البق لم تتخذ السرير معسكراً لها بل

* ينفخ فى رأسه ؛ أى يتحدث طويلاً .

تصعد وتنزل على الجدار .

يأرق كاميك أغا حتى الصباح . كيف ؟ كلنا يعلم ذلك ، كل منا وقع فى معسكر البق ولو لمرة واحدة فى حياته .

وفى الصباح التالى يسأل ماركوس أغا وزوجته كاميك أغا :

ـ كيف قضيتَ الليلة ؟

ـ مرتاح جداً .

ـ هل كان هناك بق ؟

ـ لم يكن هناك .

ترد الزوجة :

ـ كم تعذبت كى أقتل البق أنا ؟

ـ بخاطركم ، أزعجتكم .

ـ ما هذا الكلام ؟ تفضل هذه الليلة أيضاً . تفضل مرة أخرى كاميك أغا .

ـ على رأسى .

ـ سلّم على أهل البيت .

ـ حسناً ، إلى اللقاء .

ـ مع السلامة .

وأغلقت السيدة الباب وقالت لآخر مرة وهى تدخل إلى البيت مع زوجها :

ـ آه كاميك أغا آه . .

أما كاميك أغا فانطلق بخطوات كبيرة وهو يُتمتم :

أنا أعرف ، هكذا يكون البقاء عند الغير ، لا يُمكن للمرء أن يرتاح إلا فى بيته . فعليكَ أن تشرب العرق بالغصب ، وتشرب الخل حتى الساعة الثالثة صباحاً وبطنك فارغة ، ولا تجد ما يُناسبكَ من أكل . وتشبع بالخبز الحاف ، وتسمع أحاديث فارغة وتبقى تأرق حتى الصباح ، لماذا ؟ بسبب اللباقة .

وبكل بساطة تجد فقط الغباوة وراء اللباقة هذه . كان علىّ أن أقول لهم :

أنا آكل عند الساعة الثانية عشرة ولا أشرب العرق ولا أستسيغ الثرثرة ولستُ معتاداً على شرب الخل ، سكاكينكم لا تقطع ، العالم لا يشترون سمكاً بالحسك للضيوف ، واللحمة مع السفرجل لا تُؤكل ، وغرفتكم مليئة بالبق ، ألا تخجلون ؟ لم أتمكن من النوم حتى الصباح ، أليس هذا حراماً ؟ فى الحقيقة ، هذا لا يليق بكم ، أن تُعذبوا الضيف بهذا الشكل ، لقد وضعتمونى مكان الأبله . . أو أنكم لم تضعونى مكان إنسان ، ما فعلتموه هو قلة أدب ، نعم ، نعم ، وقلة أدب كبيرة . . ما كان عليكم التصرف معى بهذا الشكل . . أو كان علىّ أن أقول لكم أن الذى فعلتموه هو ببساطة غباوة . .

آه كاميك أغا . . آه .

قطـــــــوف

احتل الأدب الأرمنى مكانة رفيعة وسط عائلة الآداب العالمية . هذا ، وقد أسهمت حركة ترجمته إلى اللغات الحية وضمنها اللغة العربية فى توسيع دائرة استيعاب الآخر للذات الأرمنية . وتجدر الإشارة إلى أنه فى عام ١٨٤٨ ظهرت رواية «جراح أرمينية» للكاتب الروائى خاتشادور أبوڤيان ـ أبو الأدب الأرمنى الحديث ـ وهى الرواية التى يُؤرِّخ بها النقادَ الأرمن لفن الرواية فى أدبهم على غرار رواية «زينب» من تأليف د . محمد حسين هيكل .

معجم المرأة الأولى فى مصر

الجزء السادس

إعداد : شيماء الشواربى

منذ العصر المصرى القديم ، حظيت المرأة المصرية بمكانة محورية فى الحياة الأسرية والمجتمعية . وبمرور الزمن ، ترسّخت هذه المكانة بموجب الشرائع السماوية . وفى العصور الحديثة ، أسهمت المرأة بامتياز فى المنظومة المصرية على كافة المستويات . ونظراً لهذا الإسهام ، تنفرد «أريك» بنشر سيرة ذاتية مقتضبة لأول مرأة فى جميع التخصصات والمجالات والميادين المختلفة ، وسوف نقوم بترتيب أسمائهن أبجدياً . وتجدر الإشارة إلى أننا استقينا معلومات هذا المعجم من مواقع إلكترونية وكتب متخصصة فى تاريخ المرأة وموسوعات على رأسها : ١٠٠٠ شخصية نسائية مصرية للأستاذ أحمد رجائى ، وأعلام مصر فى القرن العشرين من إعداد وكالة أنباء الشرق الأوسط وغيرهما .

١ـ د. عزيزة أحمد يوسف

أول فتاة علمية يتم انتخابها لمجلس إدارة جمعية خريجى كليات العلوم ، وانتُخبت عن نقابة المهن العلمية فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية عام ١٩٦٤ . بكالوريوس علوم جامعة القاهرة فى عام ١٩٥٧ . ماجستير كيمياء طبيعية عام ١٩٦١ . دكتوراة فى الكيمياء الطبيعية فى عام ١٩٦٤ . بدأت مساعد باحث بمعمل تركيز الخامات (١٩٧٥ ـ ١٩٧٩) . رئيس وحدة تركيز الخامات ١٩٦٥ ـ ١٩٧١ . رئيس شعبة بحوث الصناعات بمركز البحوث (١٩٧٦ ـ ١٩٩٧) . نائب رئيس المركز وأستاذ بمعمل تركيز الخامات (١٩٨٥ ـ ١٩٩٠) . رئيس مركز بحث الفلزات (١٩٩٠ ـ ١٩٩٦) . عضو نقابة المهن العلمية والجمعية الكيميائية المصرية وعلم المعادن ، خريجى كليات العلوم . تم اختيارها عضواً بمجلس الشورى وعضواً بلجنة الصناعة والطاقة . حصلت على جائزة الدولة التشجيعية فى العلوم الكيميائية ووسام العلوم من الطبقة الأولى عام ١٩٩٦ . كما كانت قد حصلت على الميدالية الذهبية لمركز البحوث فى عام ١٩٨٢ .

٢ ـ عطيات الأبنودى

مواليد ٢٦ أكتوبر ١٩٣٩ . ليسانس حقوق عام ١٩٦٣ . دبلوم معهد السينما عام ١٩٧٢ . درجة الزمالة من مدرسة الفيلم القومية بإنجلترا عام ١٩٧٦ . بدأت مساعدة مخرج فى المسرح ومقدمة برامج إذاعية . مخرجة أفلام تسجيلية قصيرة . أول مخرجة أفلام

تسجيلية طويلة ومن روادها . وصلت أفلامها إلى ٢٢ فيلماً حتى عام ٢٠٠٠ . بدأت بإخراج «حصان الطين» ثم «أغنية توحة الحزينة» عام ١٩٧٢ وكان فيلم التخرج . أخرجت فى لندن خلال إعدادها للزمالة «السوق القديم» عن سوق الملابس القديمة بلندن وهو أول أفلامها الطويلة (٤٥ دقيقة) و «إيقاع الحياة» وأخرجت «بحار العطش» عام ١٩٨١ . «الأحلام ممكنة» ١٩٨٢ . «المرأة فى الإمارات العربية» ١٩٨٥ . «حصان الأرض» و «أيام الديمقراطية» ١٩٩٦ . «أيام لم تكن معه» ١٩٩٩ . آخر أفلامها «القاهرة ١٠٠٠» عام ٢٠٠٠ رأست لجان تحكيم فى ألمانيا وفرنسا . عرضت أفلامها فى العديد من المهرجانات الدولية . فاز فيلمها «إيقاع الحياة» بجائزة المهرجان القومى رقم ١٢ للأفلام التسجيلية بالإسماعيلية عام ١٩٨٢ . كرمها اتحاد نوادى السينما وعرض لها ٧ أفلام على مدى ٣ أيام فى هامبورج وبرلين . حصلت على الميدالية الذهبية فى المهرجان الدولى السادس لهواة السينما .

٣ ـ عطيات الشافعى

من رائدات القانون. من أوائل خريجات كلية الحقوق. مواليد ٢٧ أكتوبر ١٩١٧ . التحقت بكلية الحقوق جامعة فؤاد الأول (القاهرة) عام ١٩٣٥ . تخرجت عام ١٩٣٩ وُقيدت فى جدول نقابة المحامين بتاريخ ٢٩ يولية ١٩٣٩ ورقم قيدها فى الجدول العام ٤٢٢٨ تالياً لرقم عطيات الخربوطلى المحامية الذى يحمل رقم٤٢٢٧ بتاريخ ٢٩ يولية ١٩٣٩ . بينما يأتى رقم القيد لمفيدة عبد الرحمن المحامية ٤٤٦٢ بتاريخ ٢٩ أكتوبر ١٩٣٩عُينت «كلى» فى ٢ نوفمبر ١٩٤١ ، واستئناف فى ٢٧ أغسطس ١٩٤٧ . طلبت الاشتغال بالقضايا الشرعية فرفض وزير العدل . ولذا قامت بعمل إنذار وطلب تعويض فتقرر قيدها لتُصبح أول محامية «شرعى» فى العالم العربى . ظلت تترافع فى المحاكم حتى عام ١٩٩٠ . من زملاء دفعتها فى السنة الأولى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الذى حوّل للكلية العسكرية .

٤ ـ عفة محمود

ليسانس حقوق عام ١٩٥١ . عملت بإدارة الشئون القانونية بوزارة التربية والتعليم بعد تخرجها . تم تعيينها مع أول دفعة من السيدات فى النيابة الإدارية مع بداية تأسيسها عام ١٩٥٤ . وقد تم اختيار أعضائها من العاملين فى الإدارات القانونية بالوزارات والمصالح الحكومية . كانت ضمن دفعة ضمت سيدتين ، هى ونفيسة محمود . تدرجت فى العمل بالهيئة حتى وصلت إلى وكيل عام أول ١٩٨٠ . بعد انتهاء رحلتها الوظيفية عملت بالمحاماة .

٥ ـ علية عبد الظاهر

ليسانس حقوق عام ١٩٦٠ . التحقت بالعمل بمصلحة الضرائب فى عام ١٩٦١ لتعمل بمأمورية ضرائب الدمغة لتُصبح أول سيدة تعمل بها . تدرجت فى المناصب لتُصبح مديراً عاماً ثم وكيل وزارة بمصلحة الدمغة . ثانى سيدة تحصل على درجة وكيل وزارة بالمصلحة .

٦ ـ عيوشة (أفندى) عبد الله

قضت فترة تلمذة بمدرسة قصر العينى «مدرسة الولادة» ١٠ سنوات . عُينت بعدها حكيمة بمحافظة سواكن براتب قدره أربعة جنيهات عام ١٨٧٨ ميلادية . قضت فى الخدمة ١٩ عاماً وعشرة شهور وستة أيام تنقلت خلالها بين المحافظات ومصر القديمة وقصر العينى . حصلت على لقب «أفندى» . طلبت إحالتها للمعاش لمرض يمنعها من القيام بأشغالها . حُولت

للقومسيون الطبى المنعقد بالمصلحة يوم ٩ يولية ١٨٩٨ ووجد عندها روماتيزم مفصلى مزمناً وإن علتها من العلل الكبيرة فأحيلت للمعاش بتاريخ ٢٣ أغسطس ١٨٩٨ . استمرت تتقاضى معاشها جنيهين و٦٦٦ مليماً عن ماهيتها البالغة أربعة جنيهات .

١٢ ـ د. فاتى رشاد راوى

أول سيدة تتقدم للعمل رئيس مدينة . تم اختيارها نائباً لرئيس مركز ومدينة أسيوط . خريجة كلية الزراعة وحاصلة على الدكتوراة فى فلسفة العلوم الزراعية عام ١٩٩٧ . تدرجت فى العمل بالوحدة المحلية بأبى قرقاص بالمنيا لتُصبح وكيلاً لإدارة التنمية . لها نشاط اجتماعى متميز . قامت بافتتاح فصول لمحو أمية السيدات وتعمل على التوعية السياسية للمرأة وتشجيعها على القيد فى جداول الانتخابات والحرص على التصويت . كان لها جهود للقضاء على أزمة اللحوم فى المنيا . حصلت على المركز الأول فى دورة الأطباء البيطريين والمهندسين الزراعيين بإنجلترا والقاهرة فى مشروعات الأرانب .

٧ ـ فاطمة أبو العز

خريجة كلية التجارة جامعة عين شمس (١٩١٧) جيد جداً بمرتبة الشرف ، ماجستير فى التسويق . بدأ نشاطها الاجتماعى فى الجامعة أمينة اللجنة الاجتماعية بالكلية ورئيسة اتحاد طلاب الكلية . بعد التخرج عُينت فى بنك مصر ٦ سنوات استقالت بعدها لتتفرغ لتربية بناتها الأربع . ولم تعمل مرة أخرى إلا فى العمل الخاص وأنشطة متعددة . أول سيدة تُفكر فى تأسيس جمعية لسيدات الأعمال عام ١٩٩٧ورأست مجلس إدارتها . وكانت البداية لجمعيات سيدات أعمال أخرى .

٨ ـ د. فاطمة حافظ عابدين

أول سيدة تفوز بجائزة الدولة التقديرية فى العلوم ١٩٨١ . مواليد ٢٥ مايو ١٩١٣ شبرا ـ القاهرة . بكالوريوس الطب والجراحة بتقدير امتياز جامعة فؤاد الأول (القاهرة) ١٩٣٩ وترتيبها الثانى على مجموعتىّ الجراحة والأمراض الباطنية . دبلوم هستولوچيا بتقدير ممتاز (١٩٤٧) . دبلوم باثولوچيا بتقدير ممتاز . دكتوراة فى الباثولوچيا بتقدير ممتاز (١٩٤٩) . أوفدت فى بعثات ومهام علمية إلى معظم البلاد الأوربية وأمريكا (١٩٥٥ ـ ١٩٧٧) . عضو جمعيات عديدة منها مكافحة البلهارسيا ومرضى روماتيزم القلب . مُنحت وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى (١٩٨١) ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولى ١٩٨٢ . رئيسة للجمعية الطبية المصرية للباثولوچيا ورئيسة تحرير مجلتها . أستاذ (١٩٦٥) . أستاذ ورئيس قسم الباثولوچيا بطب الأزهر (١٩٧١) . أستاذ متفرغ (١٩٧٣) . أنشأت قسم ومتحف الباثولوچيا بطب الأزهر وأشرفت على القسم بكلية البنات الإسلامية . فازت بجائزة الدولة التقديرية فى العلوم الطبية (١٩٨١) .

٩ ـ د. فاطمة حسين

عالمة . أول مدرسة بقسم النبات بكلية العلوم جامعة القاهرة . حصلت على البكالوريوس ١٩٤٠ (خاص) . والدكتوراة من جامعة نيوكاسل بإنجلترا فى علم الخلية والبحث عن عدد الكروموزومات فى أحد النباتات الاقتصادية . عُينت مدرساً (ب) عام ١٩٤٠ ومدرساً (أ) ١٩٥١ . أستاذاً مساعداً (١٩٥٨) . أستاذاً (١٩٦٧) ثم أستاذاً متفرغاً (١٩٧٧) . لها أبحاث مهمة فى علم

الخلية وتأثير بعض المبيدات الحشرية على النباتات الاقتصادية .

١٠ ـ د. فاطمة عادل حجازى

بكالوريوس تجارة جامعة القاهرة (١٩٨٣) . عملت مراجعة حسابات بالوحدة المحلية بشبرامنت مركز الجيزة (١٩٨٩) . عُينت سكرتيرة للوحدة المحلية وتم اختيارها عضواً بلجنة المرأة بالحزب الوطنى (المنحل) على مستوى المركز والمدينة اختارها محافظ الجيزة لتكون أول سيدة تُعين رئيساً لوحدة محلية (قرية شبرامنت) فى عام ١٩٩٩ .

١١ ـ فاطمة عنان

مواليد قرية دموه بالدقهلية (١٩٤٩). بكالوريوس تربية وعلم نفس . عملت بالتدريس ومديرة بالثانوى . وكيلة وزارة . أول سيدة يتم انتخابها فى مجلس نقابة المعلمين ولمدة ٢٥ عاماً ثم وكيلة المجلس . رئيسة التنظيم النسائى بالاتحاد الاشتراكى (١٩٥٥ ـ ١٩٦٣). عضو مجلس الشعب (١٩٧١ ـ ١٩٧٦) . وفازت بمقعد المرأة بالانتخاب عن محافظة الدقهلية بمجلس الشعب . ووكيلة لجنة التعليم والبحث العلمى (١٩٧٩ ـ ١٩٨٤) . مُنحت لقب أم المعلمين سنة ١٩٧١ . وسام الجمهورية من الدرجة الثانية عام ١٩٧٢ . وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى عام ١٩٧٣ . فازت بالتزكية برئاسة المجلس الإقليمى للمرأة لمحافظة الدقهلية عام ٢٠٠٠ .

١٢ ـ د. فردوس عبد الحميد البهنساوى

عميدة كلية الآداب ـ جامعة أسيوط . أول عميدة لكلية آداب فى الجامعات المصرية . أستاذ ورئيس قسم اللغة الإنجليزية لمدة ١٧ عاماً . من أوائل دفعة عام ١٩٦٢ كلية الآداب قسم لغة إنجليزية جامعة القاهرة . من أسرة تضم ٣ أخوات و٣ إخوة كلهم أساتذة جامعيون . بدأت عملها معيدة بتربية أسيوط عام ١٩٦٩ . ورأست قسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية وعلى مدى ١٧ عاماً . أنشأت معامل للغة بالجامعة ومركزاً لتعليم اللغة الإنجليزية ومركزاً للترجمة والبحوث اللغوية .

١٣ ـ فريال صقر

بكالوريوس اقتصاد منزلى ، ودبلوم من كلية الفنون الجميلة من جامعة شارل بتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٧٠ . بدأت العمل مدرسة للاقتصاد المنزلى ثم عملت بإدارة العلاقات الثقافية الخارجية بوزارة الثقافة وتدرجت فى مناصبها وكيل إدارة فمدير عام . أول سيدة تعمل ملحقاً ثقافياً بسفارة مصر بالنمسا عام ١٩٨٣ . حصلت على درجة وكيلة وزارة .

١٤ ـ د. فريال عبد العزيز

مواليد ٢٩ ديسمبر ١٩٣٩ بالإسكندرية التحقت بالمعهد العالى للمذيعين عام ١٩٦١ . بعد حصولها على الثانوية العامة من المدرسة الفرنسية . ورشحت لبعثة الماجستير فى أمريكا عن رعاية الطفولة والأمومة . والدكتوراة عام ١٩٧٢ من معهد الصحة العالى بالإسكندرية وهى صاحبة أول رسالة دكتوراة يمنحها المعهد . تم اختيارها كأول مصرية لرئاسة المجلس الدولى لصحة المرأة لمدة عامين ١٩٩٨ . والأهمية فى ذلك أن المجلس هيئة عالمية مقرها أمريكا ولها نشاط دولى متميز ويضم ممثلين من كل أنحاء العالم . وتصبح بعد ذلك عضواً دائماً فى مجلس إدارته وهذا مكسب كبير لمصر . لها كتاب عن الصحة العامة . وعديد من البحوث . ساهمت فى تأسيس ١٢ معهداً للتمريض فى مصر .

فكـــر

الأرمن والفكر السياسى العربى
قراءة فى فكر رزق الله حسون

إعداد : عطا درغام

أسهم الأرمن إيجابياً فى منظومة البلاد العربية التى استوطنوها منذ أمد بعيد على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وفى هذا الصدد ، ثمة إسهام جد مهم للأرمن ، ألا وهو الإسهام فى مجال الفكر السياسى العربى لاسيما الأرمنين الكاثوليكيين الحلبيين رزق الله حسونيان وأديب ساهاجيان (إسحق) . ويُسعد مجلة «أريك» أن تُقدم لقرائها الأفاضل إسهام هذين الأرمنيين فى مضمار الفكر السياسى العربى الحديث وسوف نخصص هذا العدد لنشر شخصية رزق الله حسون بعد أن استعرضنا أديب إسحق على حلقتين سابقتين .

حياته

وُلد رزق الله حسونيان فى حسلب عام ١٨٢٥ فى أسرة مسيحية من طائفة الأرمن الكاثوليك تُعد من البورچوازية التجارية لأن والده كان يمتهن التجارة . أتم دراسته الابتدائية فى حلب . سافر بعد ذلك إلى لبنان حيث أتم دروسه الثانوية فى مدرسة دير بزمار . درس فيها اللاهوت والرياضيات واللغتين العربية والفرنسية ، وأظهر تفوقاً ظاهراً وولع بالشعر وقرضه . عاد إلى حلب وزاول مهنة التجارة مع والده ، وأخذ يحل محله فى ترجمة بعض النصوص والرسائل فى القنصلية النمسوية . سافر إلى باريس ولندن ومصر والأستانة . عمل فى الأستانة مديراً فى متجر أحد التجار . وعندما نشبت حرب القرم ، أصدر جريدة «مرآة الأحوال» ، التى كانت أول جريدة تصدر باللغة العربية فى الأستانة . حلل هذه الحرب وعواملها وملابساتها ، فلمع . فساعده هذا على توثيق صلاته مع رجالات الدولة العثمانية ومختلف الهيئات السياسية . وعندما نشبت الحرب الأهلية بين الدروز والموارنة فى لبنان (فى عام ١٨٦٠) وامتدت إلى سورية ، أرسل السلطان وزير خارجيته فؤاد باشا ، لإخماد الفتنة ، فاصطحب هذا معه رزق الله حسون ليقوم له بترجمة البلاغات والبيانات . وفى دمشق تعرّف على عبد القادر الجزائرى ومدحه لموقفه العاطف على المسيحيين . سافر من دمشق إلى لبنان ، وعاد مرة أخرى إلى دمشق ليقوم بجمع بعض المخطوطات . وعندما تولى فؤاد باشا الصدارة العظمى (رئاسة الوزارة) ، اصطحبه معه ليكون سكرتيره الخاص فى مراسلاته باللغة الأجنبية . صحبه معه إلى لندن وعندما عاد منها عيّنه ناظراً لجمارك التبغ . ولكنه اتهم مع مجموعة من الموظفين بالاختلاس والتلاعب وأودع السجن . فأخذ يكتب

بعض رسائل الاستعطاف إلى فؤاد باشا أظهر فيها التذلل والعبودية والتملق .

ولكن قلب الباشا لم يرق له . فهرب من سجنه والتجأ إلى روسيا حيث سلّط لسانه على الدولة العثمانية ، وأخذ يفضح مخازيها ويُظهر مفاسدها . فطالبت به الدولة العثمانية روسيا ، ولكن سلطات هذه اعتبرته لاجئاً سياسياً ، ورفضت تسليمه . وبعد أن مكث فى روسيا مدة سافر إلى لندن واستأنف فيها إصدار جريدته «مرآة الأحوال» ، ومجلة أدبية بعنوان «رجوم وغساق إلى فارس الشدياق» . وأخذ يُهاجم من هنا الدولة العثمانية وينتقد بشكل مقذع أنصارها ومؤيديها من أمثال أحمد فارس الشدياق . عاد إلى حلب متنكراً قبل وفاته بسبع سنوات ، وعمل هنا فى نسخ بعض المخطوطات . أخيراً خشى أن يُفتضح أمره فغادر حلب إلى لندن وقضى آخر حياته فى قرية وندسور حيث تفرغ لوضع كتبه وتنسيق ديوانيه وطبعهما . وتوفى هنا فى عام ١٨٨٠ .

مؤلفاته

خلّف لنا ديوانين مطبوعين فى لندن ، هما «أشهر الشعر» و «النفثات» . والقسم الأكبر من ديوان النفثات مكرّس لترجمة ٤١ قصة من القصص الحيوانى التى ألّفها شاعر الصقالبة كريلوف ، على طريقة بيدبا الهندى كما يذكر هو فى مقدمته لديوانه هذا الذى طُبع فى لندن عام ١٨٧١ .

ترجم هذه القصص شعراً ، وهى قصص تدور بأغلبها على طريقة ابن المقفع ولافونتين الفرنسى على ألسنة الحيوان ، وينتقد فيها كثيراً من المفاسد الاجتماعية والأخلاقية بأسلوب رمزى مبطن وأثبت فى نهاية هذا الديوان بعض قصائد من نظمه .

أفكاره السياسية والاجتماعية

يذكر البعض أن فى ديوان حسون «النفثات» نقداً سياسياً مبطناً ، ولكننا قرأنا قصصه المترجمة جميعاً فلم نعثر فيها على أية أفكار سياسية ولا أية انتقادات سياسية ظاهرة أو مبطنة . وكل ما فيها هو نقد لبعض المفاسد الاجتماعية والأخلاقية ، كالكذب والرياء والعجب وتعدى الأقوياء على الضعفاء . ولكنه أثبت قصيدة له بعنوان «الروسية» كتبها أثناء إقامته فى روسيا جاء فيها كثير من التزييف والنفاق فى وصف النظام القيصرى الروسى ومحاسنه ومقارنته بمساوىء نظام الحكم العثمانى .

ومهما يكن من أمر ، فقد كان زرق الله حسون يعمل هنا لمصلحة الروس وهذا غير مستغرب آنذاك . ولكنه غادر روسيا إلى لندن فوضع قلمه فى خدمة إنجلترا التى كانت تطمع فى كثير من ممتلكات الإمبراطورية العثمانية . لذلك أخذ من هنا يُرسل صيحاته إلى السوريين يُحرِّضهم فيها على خلع نير السلطان العثمانى الجائر والتحرر من الخلافة العثمانية الظالمة والمستبدة . وكان بهذا يُريد أن يهدم صرح العلاقات بين العرب والأتراك . وعندما اندحر الأتراك أمام الروس فى حرب ١٨٧٧ عبّر عن فرحته وشماتته بقصيدة لاهبة .

وهكذا نُلاحظ أن رزق الله حسون الذى انتقد مفاسد الحكم العثمانى ودعا السوريين والعرب إلى الانتفاض عليهم لم يكن خالى الغرض تماماً بل كان يعمل مع الروس أو الإنجليز من أجل القضاء على الإمبراطورية العثمانية .

آفـــــاق

برنارد لويس
ومخطط تقسيم الوطن العربى

بقلم: د. سحر حسن

برنارد لويس بريطانى الأصل ، أمريكى الجنسية ، يهودى الديانة، صهيونى الانتماء . ولد فى ٣١ مايو ١٩١٦ بلندن .

تخرج فى جامعتها عام ١٩٣٦ ، وبعد ثلاث سنوات حصل على درجة الدكتوراه فى تاريخ الشرقين الأدنى والأوسط . وعمل فيها محاضراً فى سنة ١٩٣٩ .

خدم فى الجيش البريطانى أثناء الحرب العالمية الثانية وبالتحديد فى الهيئة الملكية المدرعة فى عام ١٩٤٠ ثم فى هيئة الاستخبارات فى نفس العام ، ثم أُعير إلى وزارة الخارجية . وبعد انتهاء الحرب عُين أستاذاً لكرسى جديد للشرقين الأدنى والأوسط فى عام ١٩٤٩ .

انتقل لويس للولايات المتحدة الأمريكية وعمل كأستاذ محاضر بجامعتىّ برنستون وكورنل فى السبعينيات الماضية، وحصل على الجنسية الأمريكية فى عام ١٩٨٢ .

وقد نال العديد من الجوائز من قبل مؤسسات تعليمية أمريكية لكتبه ومقالاته فى مجال الإنسانيات . اتسمت آراؤه بالسلبية والعداء تجاه العرب والمسلمين ؛ إذ كان يرى «أن العرب والمسلمين قوم فاسدون مفسدون فوضويون، لا يُمكن تحضيرهم، وإذا تُركوا لأنفسهم فسوف يُفاجئون العالم المتحضر بموجات بشرية إرهابية تُدمر الحضارات وتُقوِّض المجتمعات، ولذلك فإن الحل السليم للتعامل معهم هو إعادة احتلالهم واستعمارهم وتدمير ثقافتهم الدينية وتطبيقاتها الاجتماعية ، إذ إنه من الضرورى إعادة تقسيم الأقطار العربية والإسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية، ويجب أن يكون هذا هو شعار أمريكا» .

ألّف ٢٠ كتاباً عن الشرق الأوسط من بينها «العرب فى التاريخ» و «الصدام بين الإسلام والحداثة فى الشرق الأوسط الحديث» و «أزمة الإسلام» و «حرب مندسة وإرهاب غير مقدس» .

يُعد برنارد لويس أحد أبرز منكرى مذابح الأرمن حيث تغيّر موقفه جذرياً من الاعتراف بحدوث «مجازر أودت بحيوات أكثر من مليون ونصف المليون على أيدى الأتراك» إلى رفض تسمية ما حدث بالمجزرة واعتبارها «أعمال مؤسفة أودت بحيوات أتراك وأرمن على حد سواء» . وقد أدى موقفه هذا إلى محاكمته فى فرنسا حيث قررت المحكمة كونه مذنباً بتهمة إنكار مذبحة الأرمن (١٩١٥) وتغريمه مبلغاً رمزياً قدره

فرنك فرنسي واحد .

ولويس صاحب مشروع تفتيت العالم العربى والإسلامى من باكستان إلى المغرب الذى وضعه فى عام ١٩٨٠ ، وقد نشرته مجلة وزارة الدفاع الأمريكية .

نشرت صحيفة «وول ستريت چورنال» مقالاً فى عام ٢٠٠٦ قالت فيه : إن برنارد لويس «٩٠ عاماً» المؤرخ البارز للشرق الاوسط ، وفر الكثير من الذخيرة الأيديولوچية لإدارة بوش فى قضايا الشرق الأوسط والحرب على الإرهاب حتى أنه يُعتبر بحق منظراً لسياسة التدخل والهيمنة الأمريكية فى المنطقة .

مخططات تقسيم الوطن العربى

لم يكن مخطط لويس لتفتيت الوطن العربى هو الأول ، بل سبقه العديد من المحاولات منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين منذ معاهدة سايكس بيكو ١٩١٦ وما ترتب عليها من تقسيم تركة الرجل المريض ، وتلاها تصريح بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ وما ترتب عليه من زرع الكيان الصهيونى فى «قلب الوطن العربى» ليتولى مهمة التفتيت فيما بعد بمشاركة دول الاستعمار القديم وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية .

ومن ثمَ قُدمت ثلاث مخططات يهودية لتقسيم العالم العربى وهى :

١ ـ مشروع جابوتسكى فى عام ١٩٣٧ وهو بعنوان «الكومنولث العبرى» ، والذى يهدف إلى إقامة دولة إسرائيل الكبرى التى تدور في فلكها دويلات مقسمة عرقياً ومذهبياً وطائفياً وترتبط بـ «إسرائيل» اقتصادياً وإستراتيچياً وأمنياً .

٢ ـ الثانى هو مشروع بنجورى الذى ظهر فى عام ١٩٥٧ الرامى إلى تقسيم لبنان إلى مجموعة كانتونات طائفية إلى جانب وضع بيروت تحت وصاية دولية .

٣ ـ الثالث يهدف إلى تقسيم السودان إلى شمال وجنوب ، والعراق إلى دويلات عدة ، وسورية إلى عدة دويلات وكذلك المغرب إلى دويلة وتضم جزءاً من ليبيا والمغرب والصحراء الكبرى ودويلة بوليساريو .

مخطط برنارد لويس

وفى عهد چيمى كارتر الذى كان رئيساً لأمريكا فى الفترة من ١٩٧٧ إلى ١٩٨١ تم وضع مشروع التفكيك ، الذى قام بوضعه «برنارد لويس» ، حيث أسس فكرة تفكيك البلاد العربية والإسلامية ، ودفع الأتراك والأكراد والعرب والإيرانيين ليُقاتل بعضهم بعضاً ، وهو الذى ابتدع مبررات غزو العراق وأفغانستان .

قام الجزء الثانى من المشروع على تفكيك الوحدة البنائية لجميع الدول العربية والإسلامية ، وتفتيت كل منها إلى مجموعة من الكانتونات والدويلات العرقية والدينية والمذهبية والطائفية ، وأوضح ذلك بالخرائط التى أوضح فيها هذه التجمعات والتى على أساسها يتم التقسيم ، وسلِّم المشروع إلى بريجنسكى مستشار الأمن القومى ، والذى قام بدوره بإشعال حرب الخليج الثانية حتى تستطيع الولايات المتحدة تصحيح حدود سايكس بيكو ليكون متسقاً مع المصالح الصهيوأمريكية .

وقد وافق الكونجرس الأمريكي بالإجماع وفى جلسة سرية عام ١٩٨٣م على مشروع لويس ، وتم تقنين المشروع واعتماده وإدراجه فى ملفات السياسة الأمريكية الإستراتيچية المستقبلية وهى الإستراتيچية التى يتم تنفيذها بدقة وإصرار شديدين . ولعل ما حدث ويُحدث وسوف يحدث فى المنطقة من حروب وفتن يُدلل على هذا الأمر .

تفاصيل المخطط

مصر

تُقسم مصر لأربع دويلات وهى :

١ ـ سيناء وشرق الدلتا :

«تحت النفوذ اليهودى» (ليتحقق حلم اليهود من النيل إلى الفرات) .

٢ ـ الدولة النصرانية : عاصمتها الإسكندرية .

ممتدة من جنوب بنى سويف حتى جنوب أسيوط تتسع غرباً لتضم الفيوم وتمتد فى خط صحراوى عبر وادى النطرون ليربط هذه المنطقة بالإسكندرية . وقد تتسع لتضم أيضاً جزءاً من المنطقة الساحلية الممتدة حتى مرسى مطروح .

٣ ـ دولة النوبة : المتكاملة مع الأراضى الشمالية السودانية . عاصمتها أسوان .

تربط الجزء الجنوبى الممتد من صعيد مصر حتى شمال السودان بإسم بلاد النوبة بمنطقة الصحراء الكبرى لتلتحم مع دولة البربر التى سوف تمتد من جنوب المغرب حتى البحر الأحمر .

٤ ـ مصر الإسلامية : عاصمتها القاهرة .

الجزء المتبقى من مصر . يُراد لها أن تكون أيضاً تحت النفوذ الإسرائيلى (حيث تدخل فى نطاق إسرائيل الكبرى التى يطمع اليهود فى إنشائها) .

السودان

تُقسم السودان لأربع دويلات وهى :

١ ـ دويلة النوبة : المتكاملة مع دويلة النوبة فى الأراضى المصرية التى عاصمتها أسوان .

٢ ـ دويلة الشمال السودانى الإسلامى .

٣ ـ دويلة الجنوب السودانى المسيحى : وهى التى أُعلن انفصالها بالفعل فى الاستفتاء الذى تم فى يناير ٢٠١٢ .

٤ ـ دارفور : المؤامرات مستمرة لفصلها عن السودان بعد الجنوب مباشرة حيث إنها غنية باليورانيوم والذهب والبترول .

ليبيا والجزائر والمغرب

تُفكك هذه الدول بهدف إقامة :

١ ـ دولة البربر : على امتداد دويلة النوبة بمصر والسودان .

٢ ـ دويلة البوليساريو .

٣ ـ الباقى دويلات المغرب والجزائر وتونس وليبيا .

شبة الجزيرة العربية والخليج

إلغاء الكويت وقطر والبحرين وسلطنة عمان واليمن والإمارات العربية ومحو وجودها البنائى بحيث تتضمن شبه الجزيرة والخليج ثلاث دويلات فقط .

١ ـ دويلة الإحساء الشيعية : (وتضم الكويت والإمارات وقطر وعمان والبحرين) .

٢ ـ دويلة نجد السنية .

٣ ـ دويلة الحجاز السنية

العراق

تُفكك العراق إلى ثلاث دويلات على أسس عرقية ودينية ومذهبية على النحو الذى حدث فى سورية إبان عهد العثمانيين وهى :

١ ـ دويلة شيعية فى الجنوب حول البصرة .

٢ ـ دويلة سنية فى وسط العراق حول بغداد .

٣ ـ دويلة كردية فى الشمال والشمال الشرقى حول الموصل (كردستان) تقوم على أجزاء من الأراضى العراقية والإيرانية والسورية والتركية والسوڤيتية (سابقاً) .

سورية

تُقسم سورية إلى أربع دويلات أقاليم متمايزة عرقياً أو دينياً أو مذهبياً وهى :

١ ـ دويلة علوية شيعية (على امتداد الشاطئ) .

٢ ـ دويلة سنية فى منطقة حلب .

٣ ـ دويلة سنية حول دمشق .

٤ ـ دويلة الدروز فى الجولان ولبنان (الأراضى الجنوبية السورية وشرق الأردن والأراضى اللبنانية) .

لبنان

تقسيم لبنان إلى ثمانية كانتونات عرقية ومذهبية ودينية على النحو الآتى :

١ ـ دويلة سنية فى الشمال (عاصمتها طرابلس) .

٢ ـ دويلة مارونية شمالاً (عاصمتها جونيه) .

٣ ـ دويلة سهل البقاع العلوية (عاصمتها بعلبك) خاضعة للنفوذ السورى شرق لبنان .

٤ ـ بيروت الدولية (المدّولة)

٥ ـ كانتون فلسطينى حول صيدا وحتى نهر الليطانى تُسيطر عليه منظمة التحرير الفلسطينية (م . ت . ف)

٦ ـ كانتون كتائبى فى الجنوب والتى تشمل مسيحيين ونصف مليون نسمة من الشيعة .

٧ ـ دويلة درزية (فى أجزاء من الأراضى اللبنانية والسورية والفلسطينية المحتلة) .

٨ ـ كانتون مسيحى تحت النفوذ الإسرائيلى .

إيران وباكستان وأفغانستان

تُقسم هذه الدول إلى عشرة كيانات عرقية ضعيفة :

١ ـ كردستان .

٢ ـ أذربيچان .

٣ ـ تركستان .

٤ ـ عربستان .

٥ ـ إيرانستان (ما بقى من إيران بعد التقسيم) .

٦ ـ بوخونستان .

٧ ـ بلونستان .

٨ ـ أفغانستان (ما بقى منها بعد التقسيم) .

٩ ـ باكستان (ما بقى منها بعد التقسيم) .

١٠ ـ كشمير .

تركيا

انتزاع جزء من تركيا وضمه للدولة الكردية المزمع إقامتها فى العراق .

الأردن

أما الأردن فتُصفى وتُنقل السلطة فيها للفلسطينيين .

فلسطين

ابتلاع فلسطين بالكامل وهدم مقوماتها وإبادة شعبها .

اليمن

إزالة الكيان البنائى الحالى للدولة اليمنية بشطريها الجنوبى والشمالى واعتبار مجمل أراضيها جزءاً من دويلة الحجاز .